

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثامنة - العدد الحادي والثلاثون - خريف ١٣٩٧ش / أيلول ٢٠١٨م

صص ٣٤ - ٩

## علاقة الشخصية بالمكان المغلق والمفتوح وتشكيل الفضاء الروائي؛ حامل الوردة الأرجوانية نموذجاً

حجت رسولي (الكاتب المسؤول)\*

زهرا دهان\*\*

### الملخص

الرواية كبناء تتشكّل من عناصر سردية تدعمها ومن هذه العناصر عنصر المكان. هناك من اعتبره من الأعمدة الأساسية في الرواية ومنهم من اتخذ عنصره فرعياً يخدم باقى العناصر ويقوم بقيامها كالزمن والشخصيات وغيرها من العناصر. تناول هذا البحث المكان وتأثيره على الشخصية في رواية "حامل الوردة الأرجوانية" للكاتب اللبناني أنطوان الدويهي. ومن أهداف هذا المقال تبين كيفية تشكيل الفضاء الروائي عبر حركة الشخصيات في المكان وصراع التقاطبات الضدية. وتمّ اختيار هذه الرواية كنموذج تحليلي لكونها حاملة للدلالات المكانية المكثفة مثل السجن، وحاول هذا البحث أن يزيح الستار عن غموض مفهوم الفضاء الروائي وكيفية تشكيله. والمنهج المتبع في هذا البحث، هو البنيوية التكوينية ومن أهم ما وصل إليه البحث هو أن هذه الرواية أظهرت التقاطبات الضدية المكانية وتسرب هذا التقابل إلى الشخصية كذلك فكان هناك علاقة متبادلة بينهما في التأثير والتأثر، وأدى إلى تشكيل فضاءين مختلفين (القمع / الحرية) في هذه الرواية.

الكلمات الدليلية: الفضاء الروائي، المكان المغلق والمفتوح، الشخصية، رواية حامل الوردة الأرجوانية.

\* أستاذ في اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتي، طهران، ايران h\_rasouli@sbu.ac.ir

\*\* خريجة ماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتي، طهران، ايران

dahhan.zahra@gmail.com

تاريخ القبول: ١٣٩٧/٦/٢٨ش

تاريخ الاستلام: ١٣٩٧/٢/١٧ش

## المقدمة

إن العناصر الروائية تتضافر في أرضية خصبة ذات إيماءات في الرواية ليلعب كل من الشخصية والزمان والمكان دوراً في ساحتها الأدبية، وبالحدث عن هذه الأرضية وكيفية تشكيلها وتمهيدها الطريق للفضاء الروائي هو الموضوع الذي كان موضع الخلاف لدى الدارسين في الرواية العربية الحديثة وتسبب في الخلط بين مفهوم المكان -المغلق أو المفتوح- والفضاء الروائي. أما بالنسبة إلى المكان فهو حائز على دور مهم في البناء الروائي ويعد العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص ببعضها البعض، كما يعد الأرضية التي تتحرك عليها الأحداث، (الحمادي، ١٩٩٥: ١٧٦) ويشكل حدود الرواية وأطرها.

## أهداف البحث

يهدف هذا المقال إلى التعرف على مفهوم المكان بأنواعه غير المحدودة وعلاقته بالشخصية، بالإضافة إلى التعرف على الفضاء الروائي وتحديد كيفية تشكيله والحيز الذي يأخذه في تشكيل الرواية بكونه عنصراً سردياً يوازي العمل. وأهمية هذه الدراسة تكمن في اهتمامها بمفهوم الفضاء الروائي الذي أصبح من المباحث المهمة التي بدأت تنشب أظفارها في العمل السردى. وحاولت هذه الدراسة أن تزيل الالتباس عن مفهوم الفضاء وجاء هذا المصطلح في التعريف الغربى لكونه مكاناً غير محدد يحتوى على كل الأمكنة والأشياء ولكن المكان جزء محدد من الفضاء (الظل، ٢٠١١: ٢٦) وهذا يوسع مضمار الفضاء الروائي الذى يحتوى على عناصر سردية ولعله يعتبر حيزاً يشمل عناصر العمل السردى.

## أسئلة البحث وفرضياته

والأسئلة التي تطرح نفسها في هذا البحث هي:

كيف تستطيع ثنائية المكان المغلق والمفتوح أن تلعب دوراً في تشكيل فضاءين

متقابلين في رواية حامل الورد الأروانية؟

كيف يؤثر المكان في الشخصية وهل العلاقة بينهما في تشكيل الفضاء الروائي متبادلة

مؤثرة أم مستقلة؟

وللإجابة عن هذين السؤالين يمكن الاستعانة بفرضيتين:

تقابل المكان المغلق والمفتوح في الرواية له دور مهم في تحديد أنواع الفضاء في الرواية، هذا التقابل بين الأمكنة المفتوحة والمغلقة تسبب بإيجاد فضاءين متقابلين في الرواية، الحرية/ القمع والأسر لأن التقابل يتطلب وجود المتناقضات التي تؤدي إلى وحدة منسجمة.

يجب على الشخصية أن تكون حركية وفاعلة، مؤثرة في المكان ومتأثرة منه في نفس الوقت وتقابل هذا التأثير والتأثر بين العنصرين يربط بينهما حبلا متينا لا تقوى على الانفكاك وهذا الذي يدعو إلى تحول الشخصية أحيانا بسبب المكان والعكس يصدق كذلك؛ حيث يتأنس المكان بتبع هذه العلاقة المتبادلة.

وتم اختيار رواية حامل الوردة الأرجوانية للكاتب اللبناني أنطوان الدويهي لأنها تحتوي على دلالات مكانية كثيرة تهيمن على ساحة الرواية وهذا يساعد على تشكيل فضاءات خاصة بها وتتوعت الأمكنة المغلقة والمفتوحة في هذه الرواية من السجن والغرفة والمقهى والبحر إلخ... بالإضافة إلى وجود تعدد أبعاد المكان مثل تعدد البلدان التي فتحت الأبواب على مصراعيها للخوض في غمارها ومعرفة دور الأماكن بأنواعها ودور الشخصية في خلق فضاء القمع والاستبداد وغيرها من الفضاءات التي تشكلت من مكان السجن المغلق في هذه الرواية.

رواية حامل الوردة الأرجوانية رواية للكاتب اللبناني أنطوان الدويهي ودخلت الرواية في القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية لعام ٢٠١٤ م وهي النسخة العربية لجائزة بوكر العالمية للرواية (موقع ويكيبيديا)، المعروف عن أنطوان الدويهي أنه روائي وشاعر من مواليد ١٩٤٨م وأكمل دراساته العليا في باريس من جامعة سوربن حيث حاز على الدكتوراه في الأنثروبولوجيا من جامعة سوربون وهو يعمل حاليا كأستاذ جامعي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في الجامعة اللبنانية (موقع الجائزة العالمية للرواية العربية arabicfiction.org).

## مناهج البحث

والمنهج المتبع في هذا المقال هو المنهج البنوي التكويني، وحاول أن يصب اهتمامه

حول عنصر المكان كعنصر أساسي يدعم الرواية والإشادة بأبعاده الإيحائية ذات الأوجه المتعددة وذلك بالتطرق إلى الأمكنة المتعددة من المكان المغلق والمفتوح في الرواية ومن ثم الانتقال إلى الشخصية ومحاولة تبين مدى أهمية دورها وحركيتها في المكان، بالإضافة إلى تبين مفهوم الفضاء الروائي والتطرق إلى أنواعه وكيفية تشكيله ودور التقاطبات الضدية فيه، لهذا درس الباحث المكان بكونه أهم عنصر في تشكيل الفضاء الروائي.

### خلفية البحث

بما أن الرواية المختارة حديثة النشر كان من الصعب أن توجد هناك دراسات حولها والشىء الوحيد الموجود هو حوار أقامه عبدالرزاق بوكبة مع الكاتب والروائي أنطوان الدويهي في موقع الجزيرة نت في قسم الأخبار الثقافية والفنية عام ٢٠١٤ في مكة المكرمة؛ وموضوع هذا الحوار يدور حول موضوع الرواية بشكل عام ويتناول موضوع العالم الجمالي الذي يقابل عالم الاستبداد في الرواية ويعترف الدويهي أنه لا قدرة للطاغية وأجهزته على إدراك هذه الجمالية وإن رفسوا كل الأبواب واستباحوا كل الأمكنة؛ كما أن الحوار كان يدور حول مفاهيم الطاغية والحرية والشخصيات التي مثلتها ومفهوم الموت. لكن لا يمكن تصنيف الحوار على أساس عمل تقني يهتم بعناصر الرواية. أما بالنسبة إلى هذا المقال فقد سعى أن يظهر تفاصيل هذه الأمكنة التي ولجتها قوات الطاغية وصنعت منها فضاء للقمع، وتم الاهتمام بالتقنيات الروائية السردية -الشخصية والمكان خاصة- ليتضح من خلاله كيفية تشكيل الفضاء القمعي السالب للحرية. وبالنسبة إلى خلفيات البحث فهناك:

غاستون باشلار ألف كتابا بعنوان جماليات المكان وترجمه غالب هلسا عام ١٩٨٤م، وهذا الكتاب يكاد يكون من أولى الدراسات التي جعلت المكان حجر أساس وصبت تركيزها عليه. وكان كتابه في عشرة فصول تناول فيها أقسام البيت من القبو إلى العلية، الأدراج، الصناديق، خزائن الملابس ومفاهيمها... منتقلا إلى الأماكن المتناهية في الصغر والمتناهية في الكبر، كما تحدث حول جدلية المكان المغلق والمفتوح لكنه صب اهتمامه

في المكان الخاص مثل البيت لهذا لم يتناول الأماكن المتنوعة وبالتالي لم يهتم بالفضاء وأنواعه؛ وأما في هذا المقال تم تبين أنواع المكان بالإضافة إلى توضيح التقاطبات التي تولد من تقابل الأمكنة المغلقة والمفتوحة.

كتاب بنية النص السردي لحميد لحمداني، طبع عام ١٩٩١م، ونوه الكاتب إلى عدم تكامل نظرية الفضاء الروائي وحاول الولوج فيه قائلا: «إن الآراء التي نجدها حول هذا الموضوع، هي عبارة عن اجتهادات متفرقة، لها قيمتها، ويمكنها أن تساعد على بناء تصور متكامل حول هذا الموضوع.» (الحمداني، ١٩٩١: ٥٣) وهذا يؤكد تضارب الآراء حول المفهوم الذي يحتاج إلى تعمق أكثر وحصر الفضاء في مفاهيم أربعة، وحاول التمييز بين مفهوم الفضاء والمكان، من دون أن يأتي بنموذج تطبيقي لتقريب المفهوم ولم يتعد توضيحه صفحات عدة؛ لكن الباحثين في هذا المقال أتوا بنموذج تطبيقي واختاروا رواية حامل الوردة الأرجوانية لتكون نموذجا واضحا للفضاء.

كتاب الرواية والمكان لياسين النصير الذي طبع عام ٢٠١٠م، ويتشابهه بالسابقين في تطرقه إلى الأمكنة المتعددة كالشارع والمقهى.... وتكمن أوجه الخلاف في تناوله المكان المفترض أو التخيل ومقارنته بالمكان الموضوعي، وأشار إلى تعدد أبعاد المكان وتناول الثنائيات، لكن هذه الدراسة تكاد تكون انطباعية أكثر من كونها منهجية لكنها مهدت الطريق للدراسات التي تلت وذلك لاهتمامها بالسجن وانغلاقه أو ما شابهه من الأمكنة. وجاء هذا المقال ليشير إلى أنواع الثنائيات المؤثرة وتقابل المكان المفتوح والمغلق ودورها في تشكيل الفضاء الروائي.

مقالة مقاربات نظرية في مفهوم الفضاء الروائي وبنيته ودوره السردي في النص الروائي لمحمد عبدالرحمن يونس عام ٢٠١١م، اعتمد الباحث فيها بالحديث عن فضاء السجن وأفق الحريات الضيق في العالم العربي، ومفهومه حول السجن كان مغايرا لمنطق السجن في الروايات العربية، وركز على المقهى وحمولاته الدلالية السلبية خلافا لما جاء به النقاد الذين اتخذوا من المقهى مكانا لتجمع الأدباء وأصحاب الثقافة والعشاق، لكنه لم يأت بنموذج تطبيقي واضح كما لم يشير إلى أنواع الفضاء فيها؛ لهذا حاول هذا البحث أن يطبق مفهوم الفضاء في الرواية.

كتاب الفضاء في الرواية العربية الجديدة لمحورية الظل الذي طبع عام ٢٠١١م، وهو من الدراسات الجديدة حول الفضاء. اختارت الباحثة في هذا الكتاب رواية مخلوقات الأشواق الطائرة للكاتب إدوار خراط ليكون نموذجاً. وقامت الكاتبة في الفصل الأول بتفصيل مفاهيم الفضاء بأنواعه ودور الرواية الغربية في دخول هذه المفاهيم في الروايات العربية الحديثة، وأشارت الكاتبة إلى الإشكاليات التي واجهتها في تبينها وذلك لاختلاف ترجمة المصطلح في العربية ولاختلاط المفهوم والمكان الروائي.

ويتميز هذا البحث في عدة محاور، أولها تبين نوعي المكان المغلق والمفتوح، والثاني تبين اختلاف المصطلح السردي الفضاء الروائي والمكان الروائي، وأهمية الشخصية في اختراق المكان الروائي بأنواعه وتشكيل الفضاء الروائي، وتبين التقاطبات الضدية بين المكانية وأثرها في الشخصية في تشكيل الفضاء الروائي، والأهم هو تطبيق هذه المفاهيم على نص روائي يزخر بالتقاطبات المكانية والشخصيات المتقابلة.

### البنوية التكوينية

جاءت البنوية التكوينية إثر البنوية الشكلية التي وقعت في مزلق الانغلاق على النص دون التوجه إلى الأنساق الثقافية والاجتماعية في حين أن هذه المحاولة الجديدة التي جاء بها الناقد والفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي لوسيان غولدمان في مدة زمنية ممتدة من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٠ فكانت التكوينية محاولة للتخلص من القيود التي استشعر بها الماركسيون فكان لابد من إدماج التفكير الاجتماعي - بما فيه النقد الماركسي - داخل الفكر النسقي (البياتي، ٢٠١٦م: ٤٦٥)، فالبنوية التكوينية هي محاولة اعتدالية تقوم بالاهتمام بالنص والنسق بالإضافة إلى التوجه إلى الظروف الاجتماعية التي تحول دون انغلاق النص على نفسه.

وأما بالنسبة إلى الأسس في البنوية التكوينية فهي في الواقع ليست إلا امتداداً للاتجاه الفكري والنقدي الماركسي ولكن غولدمان بث روحاً جديدة فيه وطور مفهومه. فيرى غولدمان أن الوصول إلى البنية الدلالية الكلية للنص يتطلب تعمقاً وفهماً للأحداث الواقعية من جهة ومن جهة أخرى الاضطلاع بالقيم الفكرية المنبثقة عنها

من أبعاد ثلاثة هي الحياة الفكرية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها المجموعة التي يعبر عنها النص الروائي. (بحرى، ٢٠١٥م: ١٥١) كما أن غولدمان يهتم بمسألة (رؤية العالم) فهو يعتقد بأنه كلما اقترب النص اقتراباً دقيقاً من التعبير الكامل المتجانس عن رؤية العالم عن طبقة اجتماعية يصبح أعظم تلاهما في صفاته الفنية (خرشوش، ٢٠١٤م: ٤٢)؛ فهو يتناول الموضوعات وما يسودها من ديناميكية يتفاعل فيها الفرد مع المجتمع ولا يمكن إدراك هذا النوع من التفاعل إلا من خلال رؤية العالم. وسنتطرق في هذا المقال إلى دراسة التقاطبات المكانية وعلاقتها بالشخصية وتشكيل الفضاء الروائي من منطلق المنهج البنوي التكوينية ونقوم بتحليل رواية حامل الورد الأرجوانية لأنطوان الدويهي.

#### ملخص رواية حامل الورد الأرجوانية

سجن البطل في يوم عاصف ممطر، حين سمع صوت طرق على الباب وهم بفتحها حتى ألقى القبض عليه بيد ضباط ثلاث ولطالما كان متحيراً من سبب اعتقاله. فهو رجل هادئ، مسالم، مقيم في عالمه الخاص، شخص لا تشوب حياته شائبة ولكن مع هذا هو لم سيتغرب أن يسجن في يوم من الأيام. وأمه كانت تردد دائماً: لا تخش شيئاً، فما يخشاه المرء يقع فيه؛ وكأنها عالمة بما يجول في خلد من الخوف. فهو كان شديد التعلق بجزيرته والحرية سمة غالبية في أعماق ذاته؛ إذ كانت إحدى أهم هواجسه فقدان هذه الحرية. عاد البطل إلى البلاد الشرقية ومدينته بعد طول غياب وعاش وتجول في مناطق وبلدان غربية مختلفة منها فرنسا وإيطاليا وفلورنسا و...، وأحب طبيعة هذه البلدان الخلابة والحرية التي تتمتع بها. عند عودة البطل إلى بلده أحس بهذا التغيير الكبير الذي غير معالم بلده.

لم يسجن البطل في زنزانه وإنما سجن في غرفة لا تتشابه بباقي الزنزانات؛ إذ كان وحيداً في هذه الغرفة الواقعة في حصن الميناء مقابل البحر، في غرفة فيها خزانه وطاولة وكرسى خشبي ولكن من دون نوافذ وهو لطالما تعود أن يكون في بيته نوافذ كبيرة. في زنزانه كانت هناك لوحة للطاغية معلقة على الجدران وكانت ترعجه بشدة؛ إذ أصبح

يحيى بأن الطاغية قد تسرب إلى الأعماق، أعماق المدينة وأعماق الذات الإنسانية، وهو جالس أمامه وجهاً لوجه ينظر إليه عبر اللوحة في هذه الغرفة المعتمة وشيخ الاستبداد مخيم على المدينة. حامل الوردة الأرجوانية هو اسم البطل المستعار في رسائله لمحبيته أنا وكان يتحدث في هذه الرسائل عن الحرية واشتمتاز به من الاستبداد، مع أنه لم يكن سياسياً بالمرة وبعيد عن كل ما يمت السياسة بصلته. وحملت هذه الرواية أسامى لمناطق كثيرة من مدن الغرب وهذا يشير إلى اطلاعه الواسع عن الجغرافيا الغربية بالإضافة إلى إضفاء طابع التعريب على الشخصية. في النهاية بعد اتهام الشخصية بتهمة معارضة النظام كان بيده خياران: إما طريق السجن بلعة إما طريق الكتاب؛ فقد خير بين كتابة قصة حياة الرئيس الطاغية خلال عام و تحرره من السجن بالمقابل إما السجن المؤبد والاختفاء نهائياً.

### المكان المغلق والمفتوح

المكان هو أحد المكونات الأساسية التي تبني الرواية وتعطيه شكلاً حيويًا، إن البعض اعتبر المكان هامشياً ولم يعره كبير اهتمام لهذا انصرفوا إلى باقى العناصر الروائية من الشخصية أو الزمان و...، لكن سرعان ما انقلبت المعايير وأصبح النقاد ينظرون إليه نظرة فاحصة. ومنذ القرن الثامن عشر وبالأخص في القرن التاسع عشر أصبح وصف المكان ذا أهمية كبيرة حتى يكاد لا يحتسب كأرضية بسيطة فقط بل أكثر. (بورنوف وأوتله، ٢٠٠٠: ١٣٥) ولا يمكن للأحداث والشخصيات أن تلعب دورها في الفراغ دون تحديد المكان، فالمكان ليس خلفية لروايات فحسب وإنما هو عنصر سردى قائم بذاته لهذا يقوم بدور جلى بين العناصر الأخرى.

ولا يجب نسيان ذلك أنه كلما كان المكان مصنوعاً بإتقان يكون صادقاً في نفس الوقت، وكلما دخل تأثير الخطاب الروائى دائرة الإدهاش وتحول المتخيل إلى واقع حقيقى. (الشهيد، لاتا: ١٧٠) لهذا يجب التفريق بين مفهوم الفضاء والمكان الذى اختلط عند البعض واعتبر المكان هو الفضاء والعكس. والحقيقة أن المكان بقعة سيمولوجية ذات دلالات متنوعة وبخاصة في الروايات التى تتعدد فيها الأمكنة؛ مما يسمح



للشخصيات الانتقال من مكان لمكان آخر بأريحية والمكان هو أحد العوامل التي تقوم عليها الأحداث لهذا يرى التأثير المتقابل بينه وبين العناصر الأخرى (الموسى، ٢٠٠٦: ١٣٢)، وأصبح تعدد الأمكنة مرافقا لتطور حركة الأحداث (الشامى، ١٩٩٨: ٢٤٦) وبارتداد الأمكنة الدلالية تزداد فعالية الشخصيات وتطور الأحداث.

وترى في الرواية الواحدة تعددا في الأمكنة، منها المكان الجغرافي الذي تتحرك فيه الشخصية إلى مكان تحركها كالبيت والمقهى و...، فالكاتب لا يأتي بها بشكل عشوي وهذا يختلف من رواية لأخرى والمكان في أية رواية نوعان: إما مكان موضوعي وإما مكان مفترض؛ وتتلخص خصائص الأولى في أنه يبين تكويناته من الحياة وتستطيع أن تشير إليه، وتجد مواضعه على خارطتها، أما خصائص الثانية فهو ابن المخيلة البحث التي تشكل أجزاءه من الواقع إلا أنه غير محدد وغير واضح المعالم؛ (المحادين، ١٩٩٩م: ٩٢) إذن المكان الموضوعي هو نفسه المرجعي والكتاب بهذه الطريقة إذا ذكر اسم حي معروف في مدينة ما سيتعرف إليه القارئ بسرعة وهذا يزيد من واقعية الرواية، إذ تصبح العلاقة بين القارئ والرواية مقربة وقابلة للتصديق أكثر ولكن هذا لا يعني أن المكان المفترض غير قابل للتصديق، وبإمكان الراوي أن يصف المكان المتخيل بذكاء يفضي إليه المقبولية عند القارئ.

إن تعدد الأمكنة في الرواية ينقسم أيضاً حسب نوع الإقامة. فهناك إقامة اختيارية وإقامة إجبارية؛ وأما الاختيارية فيمكن الإشارة إلى: فضاء البيوت، البيت الراقي، البيت المضاء، البيت المظلم والبيت الشعبي، وأما الإجبارية فمنها: فضاء السجن، الزنزانة، فضاء الفسحة، فضاء المزار وإن أماكن الإقامة الإجبارية تشكل مادة خصبة بالنسبة لأكثر الكتاب الروائيين، مثل معالجة (فضاء السجن) بوصفه عالماً مفارقاً لعالم الحرية خارج الأسوار. (عزام، ٢٠٠٣م: ١٩٦ و ١٩٧) وأما بالنسبة إلى البيت فهو كما يقول غاستون باشلار «ركننا في العالم. إنه، كما قيل مراراً، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى.» (باشلار، ١٩٨٤: ٣٦) وهذه الاختيارية والإجبارية في الأمكنة لا تدل على أنه من المستوجب أن تكون كل أماكن الإقامة الإجبارية مغلقة، أو الاختيارية مفتوحة، فقد يكون السجن مكاناً مفتوحاً خلافاً لدلالته والحال أنه مؤطر

بجدران أربعة وذلك لانفتاح الأفكار الثائرة للسجين؛ إذن إن لعلاقة الشخصية مع المكان دورا مؤثرا في تحديد نوع المكان.

أكثر النقاد في تقسيمهم للمكان تحدثوا عن تقسيم المكان الى المغلق والمفتوح. في البداية عند سماع هذه التسمية أول شيء يخطر على البال هو أنه الانغلاق و الانفتاح هو حسب ما يؤطره المكان فإذا كان له سقف أو محدود فهو مغلق أو إذا كان واسعا و غير محدود فهو مفتوح ولكن يجب الإشارة إلى أن هذا هو جزء من هذه التسمية ولا يغطي جميع الجوانب. من الممكن أن يسمى قسم من المدينة مغلقاً و هذا يرجع إلى طريقة تفكيرهم المحدودة و طبقتهم الاجتماعية.

والتقسيم الأهم للمكان هو نمطين من الأمكنة، هناك المغلق على نفسه و المفتوح، ولكل منهما خصائص وميزات تعكس الطبيعة الفكرية والنفسية للشخصية التي تعيش فيه. (وتار، ٢٠٠٠: ١٨٨) وأشار يوسف حطيني في كتابه مكونات السرد في الرواية الفلسطينية إلى الأماكن المفتوحة التي تشمل الأحياء والشوارع والساحات وما يشبهها والأماكن المغلقة كالمقاهي وهي أهمها والفنادق وإلخ، وأشار إلى أن الأماكن المغلقة تمنح بشكل عام إمكانية أكبر للعناية بعناصر السرد. (أنظر: نفسه: ٩١-٩٤) لعل تقسيم المكان إلى المغلق والمفتوح يختلف حسب الرواية، لأنه قد يتحول السجن بانغلاقه إلى مكان مفتوح في رواية لأنه كان مكانا للتخطيط والتفكير والثورة على الذات لهذا هنا يخرج من انغلاقه إلى آفاق أخرى جعلته مفتوحا ويختلف هذا الأمر في رواية أخرى فيرجع السجن مغلقا على نفسه.

### وصف الأمكنة المتعددة في رواية حامل الورد الأرجوانية

تعددت الأمكنة في هذه الرواية القصيرة مما أدى إلى تشكيل فضاءات خاصة تناسب الأمكنة المذكورة، ومضى جبور الدويهي في الإكثار من وصف المدن الغربية التي تنقل فيها البطل حتى وصلت إلى ٣٥ مدينة من باريس والبنديقية ومرسيليا...، وبالمقابل قلّ وصف المدن الشرقية فكانت تحصى بعدد الأصابع من أهمها اليمن وبلاد مابين النهرين وبر الأناضول وبلاد فارس وعمان. وإنما المدن كما يقول عبد الرحمن

منيف : «هى البشر، هى التاريخ، وبالتالي فإنها الذاكرة الحقيقية لما كان وما يجب أن يبقى.» (شرف الدين، ٢٠١٠: ٥١) وكثرة المدن الغربية فى هذه الرواية يدل على طغيان ملامح تغريب الشخصية الذى ظهر فى حبه للغرب ورفض بلده وكان فساد الحكومة وجور الطاغية سببا لهذا الرفض.

إن الروائيين والنقاد فيما قبل كانوا ينظرون إلى المكان باعتباره إطارا ساكنا سلبيا لاحتضان الأحداث والشخصيات والزمن، فوصفوه وصفاً جامداً. (يعقوب، ٢٠٠٤م: ٢٤٨) لكن بمرور الزمن تحول المكان من مجرد ديكور إلى محاور حقيقى يحرر نفسه من أغلال الوصف التقليدى الجامد وذلك عبر إسقاط الحالة الفكرية للشخصية على المحيط الذى تعيش فيه، (وتار، ٢٠٠٠: ١٨٦) لهذا فإن الراوى فى الرواية يسقط الحالة النفسية التى يعانى منها تجاه المدن الشرقية وعلاقته معها هى علاقة المتألم لهذا لم يفكر فى التجوال شرقاً لأنه لا يتصور نفسه متجولاً فى مكان وإن كان مدهشاً إذا كان مقموعا: «لم تراودنى قط فكرة التجوال شرقاً، أكثر من ذلك، أخشى سلوك هذه الوجهة، ولا أتصور نفسى منتقلاً فى مكان، مهما كان مدهشاً، إذا كان مقموعاً.» (الدويهي، ٢٠١٣: ١٠) فالقمع هو السبب فى ابتعاد الشخصية عن العيش فى بلاده، فقد تغيرت نظرتة إزاء المدن الشرقية فأصبح بلاده مكاناً مغلقاً لايسعه التحرك فيه وبات أسيراً.

ليست المدن هى المكان الوحيد المذكور فى الرواية وإنما هناك أماكن أخرى مهمة فى هذه الرواية: البحر وشاطئ المحيط، السفينة والقوارب والمراكب الراسية، المقاهى التى كثر ذكرها، البيت وأثاثه، حصن الميناء، النوافذ، المكتبة، القطار، الجسر، السجن، متحف الطيور والغرفة. ومن أهم الأمكنة التى أثرت فى الشخصية هو البحر؛ حيث ترى الشخصية نفسها مسكونة بالمشاهد البحرية: «لأدرى لم أنا، منذ شهور، مسكون، على هذا النحو بالمشاهد البحرية. فمنذ لحظة اليقظة الأولى يراودنى التخيل أنه وراء النافذة المغلقة يمتد شاطئ المحيط. ليس أى محيط، بل المحيط الذى خلف أسطور سان مالو... كى أبقى نفسى فى جو البحر، وفى منأى من الخراب، غالباً ما أكون عند آخر النهار سائراً على شاطئ النخلتين القريب.» (الدويهي، ٢٠١٣: ١٢٥ و ١٢٦) وقد يبدو البحر عنصراً جالياً متحركاً محسوساً مؤثراً فى الأحداث والشخصيات؛ (الصالح،

٢٠٠٤: ١٥٤) فبرى كيف أن الراوى والشخصيات الأخرى أصبحت مأخوذة بالبحر وكيف اتخذت الشخصية من البحر ملاذاً في ذاكرتها تهرب إليه لشدة تعلقها به ليصبح هو ملجأها وملاذها الوحيد: «ثمة مشاهد في ذاكرتى قليلة العدد، أسميها "المشاهد المختارة" لها تأثيرها السحرى على حنايا ذاتى، ومشهد البحر عند شارلوية منها. هى لا تؤثر فقط في حالات الحلم و التأمل، بل في حالة الأوجاع الجسدية أيضاً...، فحين أكون مثلاً بين يدى طبيب الأسنان، مستسلماً لإبره و أزيز آلاته، أغمض عيني طوال الوقت، وأحدق في مشهد الشاطيء عند شارلويه الذى يضحى ملجأً خلاصى.» (الدويهى، ٢٠١٣: ١٤٩ و ١٥٠) إذ أصبح البحر في هذا الرواية مكاناً مفتوحاً ومكاناً للهروب من وطأة الضغط ومحلاً تشعر الشخصية فيه بالأمان. البحر في الحقيقة و فى الرمز هو وسيلة وصل بين الطرفين، (مقالح، ١٩٩٩: ١٩٩) والبحر هنا حلقة وصل بين مكانين، بين مكانه الحقيقى والمكان الذى يريد أن يكون فيه إذ كما رأيت قد لجأت الشخصية إلى البحر محدقة إليه حينما كانت تشعر بوجع جسدى وذلك للتخلص من الوضع الراهن كان هناك هروباً من المكان الحقيقى إلى المكان الموجود فى الذكريات السابقة.

انتقل الراوى من مكان البحر المفتوح من البحر إلى الأماكن المغلقة أهمها السجن. فالسجن هو من الأماكن المغلقة كما أنه مكان للإقامة الإجبارية. والراوى اعتقل بسبب يجهله ولطالما أثار حيرته تجاه السبب فهو كان شخصاً بعيداً عن السياسة لهذا كان يظن بأن هذا الاعتقال شىء يشبه العبثية والعشوائية ولم يفهم سببه، وبدخوله السجن اختبر عدة مراحل، ابتداءً من اعتقاله، ووضعه فى زنزانه انفرادية ثم استجوابه بطريقة خاصة. ومراحل السجن السياسى قد تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مرحلة الاستقبال وهو الطريق إلى الزنزانه والبقاء فيها مؤقتاً، ومرحلة التحقيق الذى يرافقه تعذيب من كل نوع ومرحلة الاستقرار التى تعد المرحلة الأولى من مراحل حرب الأعصاب الذى يمارسه السجن على المسجون، فيحدثون السجن عن احتمال إعدامه ويسمعونه فى طريقه إلى الزنزانه صراخ المعتذبين. (حطينى، ١٩٩٩: ٨٦ و ٨٧)

فى هذه الرواية تنطبق هذه المراحل على الشخصية ولكن بصورة مختلفة قليلاً، فمرحلة الاستقبال تكاد تكون نفسها ولكن مرحلة التحقيق لا يرافقه أى نوع من

التعذيب الجسدي؛ بل قد تجسدت عملية التعذيب في انتهاكهم خصوصية الشخصية، وذلك عن طريق قراءة رسائله الشخصية التي كان يتبادلها مع حبيبته أنا حين قال: «كانت تلك القراءة بمثابة عملية تعذيب مارسها مرغماً على نفسي، إذ كان يتناوب في كل مقطع، في كل كلمة منها، الشعور الرهيب بأن جهاز الطاغية تسرب إلى أعماقي، منتهكاً بجهل وفضاظة أقدم ما عندي، أقدم ما عند كل إنسان: خصوصية حياته الداخلية.» (الدويهي، ٢٠١٣: ١١٦) فنظام الطاغية لم يعذبه بطريقة مباشرة بل بطريقة غير مباشرة وذلك عبر مراقبته عن كثب وقراءة رسائله ووضعها أمام ناظره كي يعرف مدى تسرب الطاغية في حياته وفقدانه استقلاليته، وهذا هو التعذيب لدى الشخصية، هذا التطفل والولوج في أفكار الشخصية سلبتها الحرية وجعلتها تعاني من الاختناق في جسدها، فالجسد أيضاً قد تحول إلى مكان مغلق يحبس الإنسان، كل هذا جعل مجال الفضاء أضيق.

وتختلف المرحلة الثالثة -أي الاستقرار- كثيراً، فالسجين كان محجوزاً في غرفة وكان يعامل بطريقة مهذبة وهذا ما أشعره بالراحة النفسية حين تواجهه فيه؛ إذ لم يكن يراه سجناً بل مكاناً مريحاً اسمه حصن الميناء: «أدركت بعد ذلك أنني معتقل في "حصن الميناء" فارتاحت نفسي قليلاً إلى المكان الذي لم أكن أتخيله سجيناً قط.» (الدويهي، ٢٠١٣: ٢٤ و٢٥) فالشخصية بعد مرور مدة من الزمن لم تعتبر هذا الحصن سجناً بل تألفت معه حيث أصبح بينها وبين السجن تواشج عميق وهذا الأمر أخرج السجن من انغلاقه المطلقة. وتعودت هذه الشخصية بعد أشهر أمضتها في هذا الحصن على الغرفة التي كانت دون نوافذ وأصبح المكان مألوفاً بالنسبة لها لأنه كان قريباً من البحر وأصوات هدير أمواجه من ناحية وزيارة أمه لها كل أسبوع واحترامه من قبل الحراس من جهة أخرى أعطت الشخصية السكينة، وهكذا اعتادت على حصن الميناء فكان الحراس يعاملون السجن معاملة لا يعامل فيها أي سجين آخر؛ معاملة تقف على حدود الاحترام؛ (نفسه: ٨٦) وتحول إلى مكان مريح يعطى نوعاً من الاستقلالية لسكانه وهو مكان مريح يتم فيه الحماية فهو في العادة يجب أن يكون مغلقاً لكنه بإعطائه هذه الألفة للشخصية تحول إلى مكان مفتوح. وبالنظر إلى ما تحمله مفردة الحصن من المعاني فهي

تشير إلى التاريخ والمنعة وعلامة القوة والاستقلالية، (عبيد، ٢٠١٣: ٦٦) فهناك ترابط بين المكان-الحصن- والحالة النفسية للشخصية وهذه العلاقة بينهما أدت إلى تغيير دلالات المكان المغلق إلى المفتوحة.

### دور الشخصية في المكان وتشكيل الفضاء الروائي

تعد هذه الرواية من الروايات الذاتية وتتكون من أبطال رئيسيين: السجين الذى يقوم بسرد الرواية ولم يصرح هذا الراوى باسمه ولا في مكان واحد من الرواية ويشارك هذا البطل، الأم البالغة من العمر خمس وثمانين عاماً وشخصية رانيا التى أحبها فى الماضى و عادت لتزوره فى سجنه يوماً فى الأسبوع. من الشخصيات الفرعية يمكن الإشارة إلى شخصية أنا حبيبته التى انفصل عنها مع حبهما الشديد لبعضهما و عملاء السجن وشخصية هناء المحققة معه، التى تعمل لحساب الطاغية.

الدور المهم الذى تلعبه الشخصية على أرضية المكان والتأثير والتأثر بينهما استدعى التطرق إلى دور الشخصية وحركيتها فى المكان ودورها فى الفضاء الروائى. هذا ما جعل الناقد فيليب هامون أن يصف البيئة وتأثيرها على الشخصية لأن المكان يحفز الشخصية على القيام بالأحداث، كما أن وصف بيئة ما يعنى وصف مستقبل الشخصية. (عزام، ٢٠٠٣: ١٩٤) وهذه البيئة الاجتماعية هى التى يؤكد عليها لوسيان غولدمان كثيراً فى كيفية تأثير هذه البنية الخارجية على النسق النصى؛ وهذا يؤكد دور الشخصية فى تغيير معالم المكان وبالعكس، فحينما توصف شخصية هذه الرواية بأنها كثيرة التجوال وهى لا ترغب كثيراً ببلدها بوصف البلاد الشرقية التى تتدمر طبيعتها يوماً بعد يوم وتحل البنايات محل هذه الطبيعة التى كانت خلافة فى الماضى فهو يصف مستقبل هذه الشخصية وإحساسها بالنسبة إلى هذا المكان الذى لم يعد كما فى السابق.

وبالنسبة إلى مفهوم الفضاء فهو سحاب يغلف الرواية بأكملها ويؤثر على الحالة التى تشعر بها الشخصيات، فإن غطت الرواية هالة من الضبابية والسوداوية قد يخرج منها شخصيات متأثرة ومؤثرة فيها فى نفس الوقت. وفى رواية "حامل الورد الأرجوانية" يوجد أكثر من فضاء واحد فى الرواية لكن يبقى ويطغى فى النهاية فضاء واحد ألا وهو

الفضاء الذى شكل معاملة الاستبداد وعوامل الحاكم الجائر على المجتمع والشخصية نفسها، والشخصية فى الرواية لاتقف مكتوفة الأيدى بل تحاول اختراق هذا الفضاء الظالم، وترى الشخصية أحيانا تعامل المكان معاملة أى كائن بشرى مثل أن تبعث عليه التحية والسلام: «كما فى كل مرة، أول ما سأفعله اليوم هو التوجه إلى نهر السين سيراً على القدمين لأتأمله من فوق أحد جسوره. كأنه هو الشخص الأقرب إلىّ فى هذه المدينة، الذى علىّ إعلامه بوصولى قبل الانتقال إلى أمكنة أخرى. غالباً ما أضمن رسائلى إلى أصدقائى المقيمين هنا، هذه العبارة: أنقل سلامى وشوقى إلى صديقى نهر السين، وأنا أعنى ذلك تماماً.» (الدويهى، ٢٠١٣: ٧٤) ومعاملة نهر السين مثل كائن بشرى يرفع من مستوى المكان ويظهر أهميته حتى أنه وصل إلى درجة الأسننة وهذا ليس ترابطاً بين العنصرين وإنما إدغاماً كاملاً.

فقد عومل نهر السين معاملة الإنسان والصديق وأحيانا يكون الباعث فى هذه المعاملة هو حنين الشخصية إلى هذا المكان بالذات كى يعتبر المكان إنساناً يخاطبه ويشتاق إليه ويحبه ومن الممكن أن يكون أقرب إليه من الإنسان نفسه. وإن الخبرات المتكررة فى مكان معين، تساعد فى تطوير إحساس ما بالاستمرارية، وهذا الإحساس العميق بقوة المكان يتحقق بانتماء الشخصية إلى أماكن فى الماضى وحنينها إليها فالذكريات والأحلام وكذلك المعلومات المتعلقة بأماكن معينة، تفيد فى تأكيد إحساس المرء بذاته وفى تأكيد هويته. (الربيع، ٢٠٠٥: ١٥٨) كما أن الشخصية قد تكره المكان بفقدان من تحب و يتحول المكان إلى فضاء سوداوى ومتشائم، ففى هذه الرواية لم تعد الشخصية تطبق العيش فى باريس بعد رحيل حبيبته إلى أورنفيل: «بعد رحيلها إلى أورنفيل لم أعد بدورى أطبق الإقامة فى باريس. صرت محاطاً بفراغ هائل وسط المدينة المتلاثلة الأضواء، المفعمة بالاحتمالات، الزاخرة بالوعود. بات هذا العالم الذى ستغيب فيه آناعن مدينة السين صحراء شاسعة تمتد أمامى لن أقوى على اجتيازها قط.» (الدويهى، ٢٠١٣: ١٤٦) وهكذا يتناسب الزمان والمكان الضبايين، مع الحالة السوداوية والتشاؤم الذى اتسمت بها الشخصيات الرمزية، (أبوسالم، ٢٠٠٤: ١٩٠) وهنا تظهر فاعلية الشخصية (آنا)-حبيبة السجين السابقة- وتأثيرها فى أبعاد المكان

ابلذى يعد أحد المكونات الاجتماعية؛ فبعد رحيل الحبيبة تحول المكان إلى صحراء شاسعة يصعب اجتيازه وهذا يشير إلى الوقت العصيب الذى ستمضيه إثر ابتعادها عنها وحتى الشخصية لم تعد تشعر بالتفاؤل الذى تخلقه أضواء المدينة ولا ترى سوى هذا السواد والفراغ الهائل، فرحيل الحبيبة من مكان إلى آخر تسبب بخلق فضاء غارق فى الضياع، فباريس المعروفة بمدينة الأضواء تحولت إلى مكان غراق فى البؤس والضياع ولم تعد تعنى باريس شيئاً بالنسبة إليها وهذا يؤكد مدى فاعلية الشخصية فى المكان. وأحيانا يحصل العكس فقد يتحول الإنسان إلى مكان يحمل دلالات؛ إذ تحولت أنا الحبيبة إلى البحر وأصبحت تعبر عن كل ما يحمله البحر من طاقات دلالية. فهى تمثلت فى البحر وتسرب جسد أنا فيه وإن لم تنعكس صورتها التى تجسدت فى مخيلة الشخصية فى البحر ولم ير فى البحر سوى أنا لما تمثل هذا المشهد الجميل النورمانى للبحر عنده وإلا لكان مشهدا عاديا لاغير. (أنظر: الدويهي، ٢٠١٣: ١٥٠) فقد تجلت الحركية فى دخول الشخصيات المكان أو تحول الشخصية نفسها إلى مكان ويعد هذا التبادل فى الأمكنة عاملا فى تشكيل الفضاء، فكثرة حنين السجين إلى الحبيبة جعله يراها تتجسد فى البحر الذى يراه خلف القضبان. وهذا الأمر يفصح عن كثير من المعطيات التاريخية والنفسية والاجتماعية عن طريق إلقاء تأثيراته على الرواية وهذا بالتالى يؤدى إلى رؤية شمولية فى العمل القصصى. (الزكري، ٢٠١٢: ٢٠١) فقد أعطت هذه الرواية نظرة لما قد يحمله فضاء السجن من دلالات كما أنها توجهت إلى الحصن الذى شيد فى العصر المملوكى كما سبق الإشارة إليه، وألقى نظرة تاريخية فى حقبة مهمة من الزمن.

### أنواع الفضاء فى الرواية (فضاء القمع، الاستبداد وفقد الحرية)

وأما بالنسبة إلى الفضاء الروائى فقد تم الاهتمام به فى الرواية الغربية فى القرن الثامن عشر وكانت الحرب العالمية الأولى والثانية محفزا للانشغال به وذلك إثر ما حصل من انتكاسات فى فضاء الواقع وتغييرات ما بعد الحرب وتطور العلوم والفنون، الأمر الذى أحدث شرخا بين الفضاء الروائى والفضاء المرجعى، وظهر مع الرواية الفرنسية الجديدة (الظل، ٢٠١١: ٣٠) لكن الفضاء تطور فى الرواية العربية وذلك نتيجة



تغيير آليات اشتغال الرواية وتجديدها والاهتمام بالتراث العربي والإطلاع على الثقافة الأجنبية خاصة الفرنسية، (نفسه: ٤٩) فكان للغرب يد في دخول هذا المصطلح إلى الرواية العربية الحديثة، ومع هذا يختلف الفضاء الروائي بين الرواية العربية والأجنبية، لأن المكان هو الحجر الأساس في تشكيله ويختلف المكان المرجعي كذلك من رواية لأخرى وتختلف الإيحاءات بتبع هذا التغيير في الأمكنة وعندما أخذت الرواية العربية المفهوم من الغرب فهي لونتته بطابعها العربي وأعطته مذاقا خاصا وطورت مفهومه.

قسم أكثر النقاد الفضاء إلى أربعة أنواع: الفضاء الجغرافي، الفضاء النصي، الفضاء الدلالي، الفضاء كمنظور أو كروية. المقصود من الفضاء الجغرافي هو الحيز المكاني الذي يؤطر الرواية وتوجد في كل رواية إشارات جغرافية وهذا يجعل تصوره سهلا للقارئ وأكثر قربا إلى ذهنه ومن المناسب أن يتم التأكيد هنا أن دراسة الفضاء الجغرافي لا يمكن أن تنفصل عن إحالاته المرجعية من الواقعية والتاريخية والاجتماعية و... (حطيني، ١٩٩٩: ٧٥) ويتولد عن طريق الحكى ذاته فهو فضاء يتحرك فيه الأبطال، أو يفترض أنهم يتحركون فيه، (الحمداني، ١٩٩١: ٦٢) ولعل هذا النوع من الفضاء يعادل ذكر البلاد المرجعية التي تتحرك فيها الشخصية، فالفضاء الجغرافي في هذه الرواية يتمثل عامة في الدول الغربية والأوروبية وباريس خاصة.

والفضاء النصي هو الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها يعنى كيفية طباعة الأحرف على مساحة الورق ونوعها وحجمها وأيضاً يهتم بالغلاف الذى يؤطر الرواية، فالغلاف له دلالات جمالية قيمة وكل هذه المظاهر تدخل في تشكيل المظهر الخارجى للرواية. (عزام، دون تا: ٧٢) هذا النوع من الفضاء يعتبر خارجا عن فضاء اللغة الذى يشكل الفضاء الداخلى للرواية، فهو يتضمن الشكل ليصل عبره إلى المضمون، مثل تصميم غلاف الرواية وتغليفها بلوحة خاصة أو صورة معبرة عن النص، والكاتب فى هذه الحالة لا يصمم الغلاف عشوائياً دون هدف دلالى وإنما يصبح الغلاف من أهم الدلالات السيمولوجية باللون والرسم التى طبعت عليه ليعبر عن الدلالة النصية عبر هذه العتبة. وأما الفضاء الدلالي فهو يشير إلى الصورة التى تخلقها لغة الحكى وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية. (الحمداني، نفسه: ٦٢) هذا الفضاء هو الأهم فى الفضاء الروائي

وذلك بما يفضيه من دلالات وصور مجازية خارجة من لغة الحكى نفسها ويتحكم الفضاء باللغة داخل الرواية التي تخلقه، منها فضاء القمع في الرواية. غالباً ما يرتبط مصطلح القمع بأسباب سياسية وكان القص في هذه الرواية يخص هذا الموضوع إلى حد كبير لأسباب سياسية، فمخالفة الشخصية للسلطة سيتسبب لها بعقاب من قبل الطاغية ومن مظاهر العقابات يمكن الإشارة إلى: السجن، والخوف الدائم والعقوبات وحتى التعذيب، (حسين، ٢٠٠١: ٣٠٧) وكل مكان ضيق يوميء بالتأزم والاختناق ومن هذه الأماكن المتأزمة هو السجن. (معتصم، ٢٠٠٤: ١٥٢) فإذا كان فضاء السجن في مهمته الأساسية سهدف إلى حماية الدولة والمجتمع من كل الذين يخترقون قوانين الدولة ويشكلون خطراً عليها وإذا كانت من مهماته، إصلاح الخارجين عن القانون وتهذيب نفوسهم، فإنه في الرواية العربية دلالات مغايرة وهمولات إيدولوجية جديدة، فالسجناء في هذا الفضاء قلما يوجد بينهم مجرم، يدخلون أصحاب سليمة العقل ويخرجون محطمين مهمشين وفاقدين قدراتهم الجسدية والنفسية. (يونس، ٢٠١١: ٢٣) كما أن الضيق يضغط على الشخصية وتفكيرها فتحاول الشخصية كمحاولة للهروب من ضغط السجن أن تنعزل وتفر إلى داخلها وهذا يجعل منها شخصية منعزلة عن المجتمع وهذا يتسبب بنوع من الانغلاق على الذات وسجن الذات.

وفي الرواية نرى السجن يحس بوطأة السجن عليه وبهول فقدانه الحرية، الحرية التي لطالما كانت ترافقه منذ الطفولة. حرية جبلت في أعماقه ولم يتصور نفسه يوماً فاقداً لها، فيحس بهذا الثقل والكبت الذي أصبح يخترق أعماق كيانه: «في بعض الأحيان كانت حوارات السجن تصل إلى المناطق القصية المظلمة في خوالجنا، مما لا نعيه دوماً، أو مما ندفنه و ننساه، فلا نبوح به لأحد ونكاد نخفيه عن أنفسنا.» (الدويهي، ٢٠١٣: ٦٧) فهذه الحوارات في السجن تدخل أعماق كيان الشخصية بحيث تؤثر فيه وتعشعش في دواخلها حالة من السوداوية والتشاؤم. وتارة أخرى توجد دلالات مغايرة للسجن فيصبح مختلفاً عن كل السجنون وذلك بسبب معاملة السجنين بطريقة جيدة؛ فالضباط عند احتجازه وضعوا الشخصية في غرفة ولم يضعوه في زنزاة كباقي الزنانات والدليل على هذا وجود سرير وكرسى وطاولة وحتى خزانة خشبية وأيضاً عند دخولهم لغرفته

يطرقون قبل الدخول ويستأذنون، وهذا يوحى بشيء من الألفة وتقليل وطأة السجن الذى تراها جلية فى باقى الأماكن.

إذن الشخصية شعرت ببعض الألفة إثر هذه المعاملة من قبل الحراس واحترامهم لها، وحولت الشخصية السجن إلى مكان اعتيادى كأنها تعيش فيه ولهذا لم تعتقد بأنه سجن وإنما غرفة. ولطالما تواجد المكان المغلق عند بعض الروائيين إثر وضع اجتماعى خاص عاش فيه أبطالهم سمة اجتماعية-سياسية، فما أن وضعوا فى هذه الأمكنة ما كان لهم أن حولوها إلى أماكن اعتيادية بالإمكان العيش فيها والتآلف معها بتفكير منهم أنها ليست سوى مرحلة عابرة، (النصير، ٢٠١٠: ٤٥ و٤٦) لكن مع هذا تشعر بفضاء معادى استبدادى منذ السطور الأولى باعتقال البطل ويتطور هذا الفضاء السالب للحرية مع تطور الأحداث ليطفى فى النهاية على كل الفضاءات الموجودة فى الرواية و ترى أثره بارزا فى المجتمع.

إن المكان الذى عاشت فيه الشخصية عرف منذ قدم الزمان بالجمال وأعطاه الكاتب فى الرواية أسماء "ملك الجبال وحامل عرش القيامة" وأظهر أهميته التاريخية، وحمل هذا المكان فى النهاية تسمية "سقوط الملاك" وذلك بسبب هيمنة الفضاء الاستبدادى، أصبح سقوطاً لأسفل الدمار وهذا هو التشويه الذى أصاب هذه الأرض بسبب ما أحاط بها من الجذام وأصبح كل ما فى هذه الأرض وجماليتها تتآكل يوماً بعد يوم وتمحى وتندثر. والأخطر من ذلك هو أن شبغ الاستبداد لم يكتف بالولوج فى المجتمع فقط بل حاول الدخول إلى الذات الإنسانية: «لكن الأخطر من ذلك كله، وهو ما أذهلنى وأحزنى إلى أبعد حد، أن شبغ الاستبداد لم يلج المؤسسات فحسب، بل تسرب إلى الإنسان أيضاً. أمر لا يصدق.» (الدويهي، ٢٠١٣: ١٦٦) وكانت الشخصية تظن بأن الإنسان المتمسك بحريته هو إنسان متسامح له قيم راسخة وهذه القيم توجد فى كل إنسان طبيعى ولكنه حالما رجعت إلى وطنها رأت أن وجود مثل هذا الإنسان يصعب العثور عليه، فتغير الإنسان بإحاطة الفضاء الاستبدادى عليه وطغى، فأصبح إنسانا يباع ويشترى، لينتهى به ليكون مجرد خادم للنظام السائد. ولكن الشخصية حاولت رفض الاستبداد برفضها الخضوع لجورها وفضلت الموت على الخنوع أمام الظلم وكانت عاقبتها السجن مدى

الحياة لأنها لم تقبل أن تكتب حياة الطاغية الذاتية في كتاب وجابهت الحكومة والحكم ولكن مع هذا فهي عبرت عن بلادها في النهاية بسقوط الملاك لأنها شعرت بتدمير هذه البلاد العريقة.

### التقاطبات المكانية وأثرها على الشخصية

إن القراءة الكفيلة بالكشف عن دلالة الفضاء الروائي يجب أن تبنى على مجموعة من التقاطبات المكانية وتتبعها مفارقات في الشخصيات لتظهر غالباً على شكل ثنائيات ضدية لتعبر عن العلاقات الحاصلة من اتصال الشخصيات بهذه الأماكن. وهذه التقاطبات لا تلغى بعضها بعضاً، وإنما تتكامل لتقدم مفاهيم تساعد على فهم عنصر المكان في الحكى الروائي. (انظر: عزام، ٢٠٠٣: ١٦٤-١٩٦) وتكثر في الرواية هذه التقاطبات المكانية التي تؤثر على الشخصية، فمنها مشهد اشتداد الظلمة في حصن الميناء واحساس الشخصية بالاختناق فتشعر بأنها ترزح تحت وطأة فقدانها الحرية، كما أن جهلها لسبب اعتقالها يزيد من اختناقها في الحصن الذي اعتبر كغرفة مغلقة وخالية من النوافذ: «يهبط المساء على حصن الميناء وتغشى الظلمة الكوتين المستديرين، إنه ليل آخر يجل على في سجنى لا بد لي من اجتيازه. أرزح تحت وطأة فقدانى حريقى، وجهلى المستمر لسبب اعتقالى وغموض مصيرى، إضافة إلى اختناقى في هذه الغرفة المغلقة، العديمة النوافذ... وأستمد قوتى من حياتى الداخلية ومن قدرتى على الصمت، ومن هذه العزلة التى هى عزلتى، حيث يحيط بى ويجرسنى أشخاص غير مرئيين يخترقون الجدران.» (الدويهي، ٢٠١٣: ٢٩)

ففى المشهد السابق تحاول الشخصية أن تتحمل وطأة الاختناق في هذه الغرفة المغلقة والمظلمة وتتحاول الهروب إلى العوالم الداخلية الخاصة. فالعلاقة بين المكان والذات هى علاقة عكسية أحياناً، فكلما انغلق المكان تتسع الذات في انفتاحها على التخيل والنفس (عدوان، ٢٠٠١: ١٠٧) ويتمثل هروب الشخصية إلى كوامن في مقطع آخر من الرواية وذلك حين يجن الليل عليها فلا تعود ترى أمامها سوى الظلام الحالك ولوحة الطاغية المعلقة أمامها على الجدار وهكذا تحس الشخصية بأن ظل الاستبداد يحاول

الدخول إلى كوامنها (أنظر: الدويهي، ٢٠١٣: ٤٧) وترى حصن الميناء يتحول إلى مكان يحمل دلالات المفارقة، فترى الشخصية أحيانا تشعر بالألفة والراحة في حصن الميناء الذى سجننت فيه، وتارة تراها تشعر باستبدادية الفضاء القمعى والوطأة الثقيلة التى ترزح تحتها، الوطأة التى جعلتها تهرب لعوامها الداخلية لتنسى المكان-السجن- الذى وضع فيه.

كما أن للثنائيات الضدية دور فى اختراق وتشكيل الفضاء الروائى ولا بد من القول أن الرواية تشكلت من ثنائيات ومفارقات كثيرة أولها صراع المكان المفتوح والمغلق والانتقال من مكان مغلق كالغرفة إلى مكان مفتوح كالبحر والعكس. وهناك كذلك صراع ضدى قائم فى ذات الشخصية، وهذا ما رآه البطل فى شخصية هناء المحققة التى تنتمى إلى حكومة الطاغية فهو رأى فيها: «هذا الشعور الخاص، الغامض، المنبعث من حضورها، تعبر كلها عن رؤية واحدة...قائمة على ثنائية مطلقة لاهوادة فيها، هى ثنائية القاتل والمقتول، والراعب والمرعوب، والجلاد والضحية. فإما أن تكون هذا وإما تكون ذاك، وما من خيار ثالث بينها أو خارجها قط فى أى مكان وأى زمان...، كانت تبدو هذه المرأة فى بعدها الواحد، كأنها النقيض الأمثل للبحر الممتد...هى النقيض الأمثل لامرأة مثل شخصيتى (رانيا أو آنا)، الشبيهتين بالبحر.» (الدويهي، ٢٠١٣: ٩٨) وهذا المقطع من الرواية زاخر بالتقاطبات الضدية فى المكان وأثرها على الشخصية؛ إذ تتواجد شخصية متنافرة إما تكون قاتلة أو مقتولة وهذه الثنائية ترجع إلى المكان المغلق والتفكير المتزمت الذى عاشت ونمت فيه. كما أنه يوجد تضاد بين شخصية هناء المغلقة على ذاتها وبين شخصيتنا أنا ورانيا الشبيهتين بالبحر الذى يعبر عن الفضاء مفتوح، ويمكن تلخيص صراع التقاطبات الموجودة كالاتى: هناء الآتية من مكان متزمت ومغلق ومتخلف / أنا ورانيا الشبيهتين بالبحر وانفتاح ذاتهما.

وبسبب هذه التقاطبات تنتهى الرواية فى الأغلب إلى فضاءين متقابلين من المغلق والمفتوح. وحينما عرف الراوى التهم التى ساقوها إليه بأنه مخالف للحكومة وله نشاط سياسى ضدهم، فى الآخر أعطوه خيارين، وهذان الخياران أيضاً يجسدان الفضاء القمعى: «إما طريق السجن بلعة، وإما طريق الكتاب؟. خيار موهوم لا يؤدى إلى أى منفذ.

فالطريقان يقودان إلى المكان نفسه. لقد أطبق الطاغية على فعلقت في شبكة عنكبوته، التي لاخروج لي منها بعد اليوم» (نفسه: ١٨٥) فالخياران هما إما أن يسجن إلى الأبد أو يقتل وإما أن يكتب سيرة الطاغية الذاتية وهو في البداية لو أراد التعامل مع الطاغية لقبول عرضه في كتابة سيرته في مجلته سابقاً، لكن نفسه المحبة للحرية رفضت ذلك ومازالت رافضة له، فالبطل بقوله للحراس بأنه سيكتب الكتاب، لا يدل على خضوعه لأمر الحاكم، هذا مجرد تمويه فقط ليكون لديه مزيداً من الوقت لينشر كتاباته وأفكاره عن قمع الطاغية بعد موته. فهنا أيضاً يتضح انغلاق الطريقين الذين لا يؤديان إلى أى طريق مفتوح فهو إذا لم يكتب فسيتقى في الزنزانة أو سيؤول به الأمر إلى مكان أكثر انغلاقاً، ألا وهو القبر وعاقبته الموت، وإذا كتب الكتاب فقد خان نفسه والبلاد وسلب حرية ذاته ولوث ذاته النقية؛ فهذا انغلاق على الذات من جهة أخرى. ولكنه اختار عدم كتابة ما يريده الطاغية وإنما استغلال ما تبقى له من الوقت ليفضح جرائم الاستبداد والقمع، وهذا هو السبيل لتحرر أفكاره لفضاء رحب ومفتوح عبر طباعة كتابه.

## النتائج

لابد من القول إن الرواية تشكلت من ثنائيات ومفارقات كثيرة وأنها تقابل المكان المفتوح والمغلق والانتقال من مكان مغلق كالغرفة إلى مكان مفتوح كالبحر والعكس. ولم تكنف بالمكان فحسب وإنما تخطت الأطر المكانية ونفذت في الشخصية كذلك وترى تقابل الشخصيات المتنافرة مثل (الشخصية / الطاغية) و(آنا وراينا / هناء) وهذا أدى إلى تشكيل فضاءين متقابلين في هذه الرواية (فضاء القمع / الحرية)؛ إذ يوحي فضاء القمع بالتأزم والاختناق خلافاً للفضاء الثاني الذي يعبر عن فضاء مفتوح فقد كان البحر مكاناً يعادل الحرية في الرواية وكلما ضاقت الحياة بالشخصية حاولت الهروب من وطأة الاستبداد إلى البحر ليكون ملاذاً لها وهذا التقابل بين المتنافرات أدى إلى إيجاد وحدة منسجمة في الرواية والذي ظهر في الصراع القائم بين الأمكنة والأشخاص. كانت العلاقة بين الشخصية والمكان متقابلة في التأثير والتأثر، ونجد هذا التلاحم بين العنصرين في الرواية ظاهراً حين كانت الشخصية تهرب إلى دواخلها لتفر من

وطأة السجن والاختناق من الأسر فهي كانت تحاول الهروب إلى عوالمها الداخلية وكانت تتخيل نفسها وهي تتحدث مع البحر الذي حمل دلالات المكان المفتوح والحرية؛ فهذه العلاقة بين المكان المتأزم والهروب إلى الذات هو نفسه تأثير المكان على نفسية الشخصية، وهذه العلاقة متبادلة بين العنصرين.

الفضاء المغلق هو الحاكم على جو الرواية وهذا بنوع ما يخدم منطق الرواية وتسلط فضاء الاستبداد والقمع على الشخصية خاصة الرواية بجمعها. وكان مصير الشخصية في مكان مغلق أيضا؛ فكان لها خيارين إما طريق السجن والموت أو كتابة حياة الرئيس الذاتية وتلويث الشخصية نفسها وحريتها؛ فالشخصية معلقة بين الحياة والموت، وإن كتبت لصالح الطاغية نجت من الأسر لكنها ستأسر نفسها المحبة للحرية والعدالة وإن خالفت الطاغية هلكت كذلك، فالمصيران يؤديان إلى الهلاك، ولا فرق بين الموت جسديا أو نفسيا فالفضاء في كلا الحالين مغلق. واستطاع الكاتب أن يستحضر المكان الاستبدادي وكيفية تأثيره على الشخصية والتأثير منها، وهذا يظهر البنية الخارجية للنص خاصة المجتمع المتشكل والسياسة المتخذة في قمع المجتمع الذي يطالب بالحرية وإسكات الأفواه بعد النطق وسلبها الحرية في التعبير فكانت خاتمة الرواية خاصة توحى بالمجتمع الذي يحاول الاستبداد الوصول إليه.

## المصادر والمراجع

أبوسالم، إيناس محمود. (٢٠٠٤م). اتجاهات القصة القصيرة في الأردن. ط ١. الأردن: مطبعة الروزنا.

بحري، محمد الأمين. (٢٠١٥م). البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية. ط ١. بيروت: كلمة للنشر والتوزيع.

باشلار، غاستون. (١٩٨٤م). جماليات المكان. ترجمه: غالب هلسا. ط ٢. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

بورنوف، رولان. أوّل رثال. (٢٠٠٠م). جهان رمان. ترجمه: نازيلا خلخالى. ط ١. تهران: لانا.

البياتي، عباس محمد رضا. الجبوري، إيناس كاظم شنباره. (٢٠١٦م). «عتبات البنيوية التكوينية وتقاط انطلاقتها». مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية. العدد ٢٥.

- حسين، أحمد جاسم. (٢٠٠١م). القصة القصيرة السورية ونقدها في القرن العشرين. ط ١. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- حطيني، يوسف. (١٩٩٩م). مكونات السرد في الرواية الفلسطينية. ط ١. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- الحمادي، امتنان عثمان. (١٩٩٥م). زكريا تامر والقصة القصيرة. ط ١. عمان: المؤسسة العربية للدراسات.
- خرشوش، خيرة وزناقي، منال. (٢٠١٤م). رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير بعنوان «آليات البنيوية التكوينية من خلال كتاب (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب لمحمد بنيس)». الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
- الدويهي، أنطوان. (٢٠١٣م). رواية حامل الورد الأرومانية. ط ١. بيروت: الدار العربية للعلوم.
- الربيع، آمنة. (٢٠٠٥م). البنية السردية للقصة القصيرة في سلطنة عمان. ط ١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.
- الزكري، عبداللطيف. (٢٠١٢م). جماليات القصة القصيرة العربية الحديثة والمعاصرة. ط ١. بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.
- الشامي، حسان رشاد. (١٩٩٨م). المرأة في الرواية الفلسطينية (١٩٦٥-١٩٨٥). ط ١. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- شرف الدين، ماجدولين. (٢٠١٠م). الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما. ط ١. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- الشهيد، زيد. (لاتا). من الأدب الروائي (دراسة وتحليل). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- الصالح، دنضال. (٢٠٠٤م). نشيد الزيتون (قضية الأرض في الرواية الفلسطينية). ط ١. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- الظل، حورية. (٢٠١٠م). الفضاء في الرواية العربية الجديدة، مخلوقات الأشواق الطائرة لإدوار الخراط نموذجاً. ط ١. دمشق: دار نينوى.
- عبيد، محمد صابر. (٢٠١٣م). الذات الساردة (سلطة التاريخ ولعبة المتخيل، قراءات في الرؤية الإبداعية لسلطان بن محمد القاسمي). دمشق: دار نينوى.
- عدوان، نمر عدوان. (٢٠٠١م). رسالة «تقنيات النص السردى في أعمال جبرا إبراهيم جبرا». نابلس: لانا.
- عزام، محمد. (٢٠٠٣م). تحليل الخطاب الأدبي (على ضوء المناهج النقدية الحديثة)، دراسة في نقد النقد. ط ١. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.



- عزام، محمد. (لاتا). شعرية الخطاب السردي. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- لحمداني، حميد. (٢٠١٩٩٢م). بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ط ١. بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة.
- المحادين، عبد الحميد. (١٩٩٩م). التقنيات السردية في روايات عبدالرحمن منيف. ط ١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع.
- معتصم، محمد. (٢٠٠٤م). النص السردي العربي الصيغ و المقومات. ط ١. الدار البيضاء: شركة النشر و التوزيع المدارس.
- المقالم، عبدالعزيز. (١٩٩٩م). دراسات في الرواية و القصة القصيرة في اليمن. ط ١. لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.
- الموسى، خليل. (٢٠٠٦م). ملامح الرواية العربية في سورية. ط ١. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- النصير، ياسين. (٢٠١٠م). الرواية و المكان دراسة المكان الروائي. ط ٢. دمشق: دار نينوى.
- وتار، محمد رياض. (٢٠٠٠م). شخصية المثقف في الرواية العربية السورية. ط ١. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- يعقوب، ناصر. (٢٠٠٤م). اللغة الشعرية و تجلياتها في الرواية العربية. ط ١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.
- يونس، محمد عبدالرحمن. (٢٠١١م). مقالة «مقاربات نظرية في مفهوم الفضاء الروائي و بنيته و دوره السردي في النص الروائي». مجلة جامعة ابن رشد في هولندا. العدد الثاني. هولندا.
- موقع الجزيرة الإلكترونية (الجزيرة نت). (٢٠١٤م). مكة المكرمة: قسم الأخبار الثقافية و الفنية.



A series of horizontal dotted lines for writing, starting from the top right and extending across the page.